٢٠ - الاستهـــزاء

١٢/ ١٠/ ١٤١٩هـ

إنَّ الحَمْدَ للهِ.... أَمَّا بَعْدُ:

فَمَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَقَد تَمَيَّزَت أَحكامُ الشَّريعَةِ بِشُمولِيَّتِها وصَلاحِها لِكُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ مَهما تَبَدَّلَتِ الأَحوالُ واختَلَفَتِ الأَلسِنَةُ وتَباعَدَتِ الأَقطارُ.

فَكَمالُ الشَّريعَةِ مِمَّا تَشهَدُ بِهِ العُقولُ ويَقطَعُ بِهِ ويُؤَكِّدُهُ تَوافُقُ الفِطَرِ. وكَيفَ لاَ يَكونُ ذَلِكَ وتِلكَ الأَحكامُ والآدابُ تَنزيلٌ مِن حَكيمٍ حَميدٍ؟

خَلَقَ الخَلقَ وعَلِمَ مَصالِحَهُم، وخَلَقَ الأَسبابَ ورَتَّبَ عَلَيها المُسَبِّباتِ، وجَعَلَ أَحكامَ الشَّريعَةِ وآدابَها مِيزاناً عاماً لِجَميعِ شُؤونِ الحَياةِ.

قادَتِ العِباداتُ إِلى بَرِّ الأَمانِ، هَذَّبَت عُقولَهُم وأَصلَحَت أَبدانَهُم وَرتَّبَت شُؤونَهُم عَلى أَحسَنِ وَجهٍ وأَكملِ حالٍ.

وصَدَقَ اللهُ -ومَن أَصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ومَن أَصدَقُ مِنَ اللهِ حَديثاً- {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**} [سورة المائدة: ٣] فَلاَ إِكمالَ بعدَ إِكمالِ اللهِ وَلاَ تَمامَ بعدَ إِتمامِ اللهِ، قَالَ الإِمامُ ابنُ كَثيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عِندَ هَذِهِ الآيَةِ: (هَذِهِ أَكبَرُ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلى هَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ أَكمَلَ لَهُم دِينَهُم، فَلا يَحتاجونَ إِلى دينٍ غَيرِهِ وَلا إِلى نَبِيٍّ غَيرِ نَبِيِّهِم، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيه؛ ولِهَذا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى خاتَمَ الأَنبِياءِ وبَعَثَهُ إِلى الإِنسِ والجِنِّ، فَلا حَلاَلَ إِلاَّ ما أَحَلَّهُ وَلاَ حَرامَ إِلاَّ ما حَرَّمَهُ وَلاَ دِينَ إِلا ما شَرَعَهُ، وكُلُّ شَيءٍ أَخبَرَ بِهِ فَهُو حَقٌّ وَصِدقٌ، لاَ كَذِبَ فِيه وَلا خُلفَ، كَما قَالَ تَعَالَى: {**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً**} [سورة الأنعام: ١١٥] أي صِدقاً فِي الأَخبارِ، وعَدلاً فِي الأَوامِرِ والنَّواهِي) انتَهى كَلامُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لَمَّا كانَت أَحكامُ تِلكَ الشَّريعَةِ صادِرَةً مِن خالِقِ العِبادِ وفاطِرِهِم، قَطَعَتِ الدَّلائِلُ والعُقولُ والفِطَرُ بِصِدقِها وكَمالِها، وأَنَّ السَّيرَ فِي رِكابِها عَينُ النَّجاةِ والسَّعادةِ فِي الدُّنيا والبَرزَخِ والآخِرَةِ.

كَما أَنَّ مُخالَفَتَها والحَيدَ عَن نُصوصِها مُوجِبٌ لِسُلوكِ أَودِيَةِ الضَّلالِ والرَّدَى.

{**تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا**} [سورة البقرة: ٢٢٩]، {**تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا**} [سورة البقرة: ١٨٧]، {**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} [سورة البقرة: ٢٢٩]، {**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**} [سورة الطلاق: ١].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

إنَّ القَدحَ -بَل مُجَرَّدَ الشَّكِ- فِي كَمالِ هَذِهِ الشَّريعَةِ، أَوِ الطَّعنَ فِي بعضِ أحكامِها؛ طَعنٌ في عَقيدَةِ ذَلِكَ القادِحِ، وكَيفَ لاَ يكونُ ذَلِكَ والقادِحُ فِي حُكمٍ مِن أحكامِها لازمُ قولِهِ الطعنُ في مُشَرِّعِها ومُنزِّلِها؟!

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

ومعَ كَثرَةِ النُّصُوصِ الشَّرعِيَّةِ التِي تُحَذِّرُ مِنَ المَساسِ بِجَنابِ الشَّريعَةِ وتَنقُّصِها، ولَو مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ، مع هَذا كُلِّهِ، جَنَحَت أَفئِدَةٌ عَنِ الصِّراطِ المُستَقيمِ واجتَالَتها الشَّياطينُ، فَخاضُوا ورَتَعوا وخَبُّوا ووَضَعُوا فِي آراءٍ واستِحساناتٍ عَقلِيةٍ، جابَهوا بِها أحكامَ الشَّريعَةِ وتَعالِيمَها، فَنُصوصٌ تُرَدُّ، ونُصوصٌ تُؤَوَّلُ، ونُصوصٌ يُستَخَفُّ بِها، وهَؤلاءِ -وإن تَنوَّعَت مَشارِبُهُم- إلاَّ أَنَّ مآرِبَهُم مُتَّحِدَةٌ يَجمَعُها التَّطاوُلُ عَلى أَحكامِ الشَّريعَةِ والاستِخفافُ بِها.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

لقَد تَطاوَلَ نَشازٌ مِنَ البَشَرِ وأَقزامٌ، فأَطلَقوا لأقلامِهِم العِنانَ فِي إظهارِ شُبُهاتِهِم وشَهَواتِهِم المَسمومَةِ، خانُوا اللهَ وخانُوا أُمَّتَهُم وخانُوا أَمانَةَ القَلَمِ.

أُولَئِكَ المُستَهزِؤونَ المُتَنَقِّصونَ لأَحكامِ الشَّريعَةِ {**يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**} [سورة النساء: ١٦٢]، {**يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**} [سورة البقرة: ٩]، {**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ**} [سورة الأنفال: ٣٠]، {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**} [سورة البقرة: ١١، ١٢]، {**وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ**} [سورة إبراهيم: ٤٦]، {**وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ**} [سورة فاطر: ٤٣].

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

ولَمَّا كانَ الاستِهزاءُ مِنَ المُوبِقاتِ والمُهلِكاتِ لِلعَبدِ؛ كَثُرَ التَّشنيعُ عَلى مَنِ اتَّصَفَ بِهِ؛ تَحذيراً وَتَرهيباً مِن سُلوكِ طَريقِهِ: {**قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ**} [سورة التوبة: ٦٥].

{**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**} [سورة الجاثية: ٣٣].

{**فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**} [سورة الأنعام: ١٠] {**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُواْ ايَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً**} [سورة الكهف: ١٠٦].

{**وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**} [سورة الجاثية: ٩].

إلى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الآياتِ.

مَعاشِرَ المُسلِمينَ:

وَلأَجلِ خُطورَةِ الاستِهزاءِ وكَثرةِ النُّصُوصِ فِيه؛ بَيَّنَ العُلَماءُ مَفهومَ تِلكَ النُّصُوصِ ومُؤَدَّاها.

قَالَ شَيخُ الإِسلامِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (إِنَّ الاستِهزاءَ بِاللهِ وآياتِهِ ورَسولِهِ كُفرٌ، يَكفُرُ بِهِ صاحِبُهُ بعدَ إِيمانِهِ).

وَقالَ ابنُ قُدامَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (مَن سَبَّ اللهَ تَعَالَى كَفَرَ، سَواءً كانَ مازِحاً أَو جادّاً، وَكَذلكَ مَنِ استَهزَأَ بِاللهِ تَعَالَى أَو بِآياتِهِ أِو بِرُسُلِهِ أَو كُتُبِهِ).

وَقالَ الإِمامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (والأَفعالُ المُوجِبَةُ لِلكُفرِ هِيَ التِي تَصدُرُ عَن عَمدٍ واستِهزاءٍ بِالدِّينِ صَريحٍ).

وَلَمَّا عَدَّدَ الشيخُ مُحمدُ بنُ عَبدِالوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى نَواقِضَ الإِسْلامِ، ذَكَرَ مِنها: «الاستِهزاءَ بِشَيءٍ مِن دينِ الرَّسولِ ﷺ، أَو ثَوابِهِ أَو عِقابِهِ».

فَنَسأَلُ اللهَ تَعَالَى أَن يَحفَظَ عَلَينا دينَنا، وأَن يَكفِيَنا شَرَّ أَنفُسِنا وشَرَّ الهَوى والشَّيطانِ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ...

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

لَقَد سَلَكَ أُولَئِكَ المُجرِمونَ المُستَهزِئونَ طُرُقاً شَتَّى فِي بَيانِ مُرادِهِم وخَبيثِ مَقصَدِهِم.

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

إنَّ مِنَ الطُّرُقِ التِي سَلَكَها بعضُ النَّشازِ مِن أُولَئِكَ: تِلكَ الرسومُ السَّاخِرَةُ الفاجِرَةُ فِي مَقصَدِها.

تِلكَ الرسومُ الهَزلِيَّةُ التِي تُبطِنُ -بَل تُظهِرُ- صَرِيحَ الخُبثِ والمَكرِ.

رُسومٌ يَزعَمونَ أَنَّهَا لِمُجَرَّدِ الفُكاهَةِ والتَّرويحِ، ولَكِن وَراءَ الأَكَمَةِ ما وَراءَها. {**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**} [سورة الأنفال: ٣٠].

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

لَقَدِ انخَدَعَ بِتِلكَ الرُّسومِ كَثِيرٌ مِنَ المُسلِمِينَ، فَيَتَناقَلونَ ذِكرَها عَلى أَلسِنَتِهِم مِن بابِ المُداعَبَةِ، ولَم يَعلَموا أَنَّهُم يُساعِدونَ تِلكَ الشِّرذِمَةِ عَلى نَشرِ باطِلِهِم.

وَمِن عَظِيمِ مَكرِهِم وخُبثِهِم: أَنَّ بعضَهُم رَسَمَ ديكاً تَتبَعُهُ أَربَعُ دَجاجاتٍ، بِقَصدِ التَّهَكُّمِ مِن تَعَدُّدِ الزَّوجاتِ.

وبَعضُهُم يُصَوِّرُ المَرأَةَ المُحتَشِمَةَ المُتَحَجِّبَةَ بأَنَّها خَيمةٌ سَوداءُ تَمشِي بَينَ النَّاسِ.

وَرَسمٌ يَسخَرُ مِن ضَوابِطِ الشَّرعِ عَلى حِفظِ المَرأةِ، وأَنَّ الحَيَوانَ أَكثَرُ حُرِّيَّةً مِن تِلكَ المَرأَةِ التِي أَثقَلَتها قُيودُ الشَّرعِ -زَعَمُوا.

مَعاشِرَ المُسلِمِينَ:

وَمِن أَساليبِ الاستِهزاءِ والسُّخريةِ التِي سَلَكَها أُولَئِكَ النَّشازُ: تَنَقُّصُ أَهلِ الخَيرِ والصَّلاحِ، وكَذا تَنَقُّصُ المُحتَسِبِينَ الآمِرِينَ بِالمَعروفِ والنَّاهِينَ عَنِ المُنكَرِ.

ودَلِكَ بِمُحاكاتِهِم فِي لِباسِهِم وهَيئَتِهِم، واختِلاقِ الأَكاذيبِ عَلَيهِم بِقَصدِ إضحاكِ النَّاسِ عَلَيهِم، وبَثِّ الإِشاعاتِ المُغرِضَةِ عَلى طَبيعَةِ عَمَلِهِم، فَأَينَ أُولَئِكَ مِن قَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَيلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَومَ، وَيلٌ لَهُ، وَيلٌ لَهُ**» أَخرَجَهُ أحمدُ وأَبو داوُدَ والترمذِيُّ عَن مُعاوِيَةَ بنِ حَيدَةَ رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنه[1].

قَالَ الشُّرَّاحُ: (كَرَّرَ قَولَهُ: «وَيلٌ لَهُ» إيذاناً بِشِدَّةِ هَلَكَتِهِ؛ ودَلِكَ لأَنَّ الكَذِبَ وحدَهُ رأسُ كُلِّ مَذمومٍ، وجِماعُ كُلِّ فَضيحَةٍ، فإذا انضَمَّ إليهِ استِجلابُ الضَّحِكِ الذِي يُميتُ القَلبَ، ويَجلِبُ النِّسيانَ، ويُورِثُ الرُّعونَةَ؛ كانَ أَقبَحَ القَبائِحِ، ومِن ثَمَّ قَالَ الحُكَماءُ: إيرادُ المُضحِكاتِ عَلى سَبيلِ السُّخفِ نِهايَةُ القَباحَةِ) اهـ المُرادُ مِنهُ.

---

(1) رواه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٦) وأحمد (٥/ ٥).

فَقَبَّحَ اللهُ قَوماً أَرادُوا بِأُمَّتِهِم شَرّاً وفِتنةً {**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**} [سورة فاطر: ٨].

اللَّهُمَّ مَن أَرادَ بِنِساءِ المُسلِمينَ فِتنَةً، وبِشَبابِهِم غَوايَةً، وبِأهلِ الخَيرِ تَنَقُّصاً، اللَّهُمَّ رُدَّ كَيدَهُ فِي نَحرِهِ وَافضَحهُ عَلى رُؤوسِ الأَشهادِ.

اللَّهُمَّ احفَظ بِلادَنا وبِلادَ المُسلِمينَ مِن شَرِّ الأَشرارِ وكَيدِ الفُجَّارِ.

اللَّهُمَّ وَفِّق وُلاةَ أَمرِنا وأُمورِ المُسلِمينَ إِلى ما فيه صَلاحُ الإِسْلامِ وَالمُسلِمينَ.

اللَّهُمَّ اشدُد وطأَتَكَ عَلى المُفسِدينَ والمُفسِداتِ.

سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفونَ، وسَلامٌ عَلى المُرسَلينَ، والحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ.